يوليوس هاشم

يبتعد عن الواقع مَن يكوّن رأيه عن شخصية الفنانة غادة شبير بناء على صورها في ألبوماتها أو على مقابلاتها التلفزيونية، فهذه الفنانة الرصينة والجدّية تخبّئ طرافةً وخفّة دَم وسرعة بديهة لخلق النكتة تفاجئ مَن يتحدّث إليها، بل تصدمه لدرجة يتساءل إن كانت هي غادة شبير أم لا، ولا بد من أن البعض سيدعوها الى التمثيل الكوميدي رغم رفضها القاطع!

لقاؤنا كان عنوانه الحفلة التي ستحييها في التاسعة مساء السبت 20 آب في ساحة المتَين الأثرية، لكنّ الأحاديث تنوّعت وتشعّبت على وسع ثقافتها الشاملة.

■ **فلنبدأ بالحديث عن حفلتك في 20 آب.**

- الحفلة ستمتد أكثر من ساعة ونصف الساعة يتخللها برنامج من ثلاثة أقسام: موشحات عربية، قصائد مغناة، فولكلور لبناني. وتنتهي الحفلة بأغنية وطنية عن ساحة المتَين الأثرية، ساحة الميدان، لحّنتها بنفسي وسأغنّيها مع الكورس الذي يتألّف من 27 شخصاً.

■ **عرفنا أنّك أنتِ مَن كتبتِ كلماتها أيضاً، فلماذا لم تذكري هذا الأمر؟**

- لا أدّعي أنني شاعرة، لكن كل ما في الأمر أني قرأت أكثر من كتاب حول المتَين وتاريخها ثمّ زرت المنطقة وشعرت بأني قادرة على كتابة بعض الكلمات عنها وعن لبنان.

■ **يبدو أنّك تحبين البحث في كل شيء وليس فقط في حقل الموسيقى التراثية العربية والسريانية؟**

- من الطبيعي أن أبحث عن تاريخ المنطقة التي سأغنّي فيها، فأنا لست من النوع الذي هدفه إقامة حفلة لكسب المال، ولا هدفي أن أقف على المسرح وأغنّي فحسب... كثيرات يملكن أصواتاً جميلة فلماذا لا يأتون بفنانة أخرى؟ من المهم جداً خلق تواصل بينَك وبين الإطار الذي توجد فيه وتعرف كيف تعطيه حقّه وتحترمه، وهذا غير ممكن من دون معرفة التاريخ.

■ **ألهذا السبب أنت اليوم باحثة في المجال الموسيقي العربي والسرياني؟**

- المشكلة أننا في لبنان لا نعرف تاريخنا. حين بدأت تخصصي سألت عن الموسيقى اللبنانية في التاريخ فكان الجواب أنّ لا موسيقى عندنا. كثيرون يظنون أنّ الموسيقى اللبنانية لا ترقى الى أكثر من أيام الأخوين رحباني ووديع الصافي ومَن كان معهم، وهذا ما دفعني الى التساؤل:

السوق اليوم حافلة بالطقاطيق لأنّ الطقطوقة هي النوع الغنائي الأسرع في الوصول، والجميع مستعجلون!

هل كنّا نكرة أيام الفينيقيين؟ اكتشفت من خلال الأبحاث أنّنا كنّا نملك موسيقى خاصة بنا، لكن المشكلة أنّها لم تُدوَّن كي تصل إلينا بسهولة.

■ **قد يقول قائل: إلى أي درجة البحث في الماضي هو أهم من الإبتكار والتجديد في الحاضر ومن التفكير للمستقبل؟**

- لكن كيف يمكنك الإبتكار أو التجديد من دون معرفة ما سبق؟ ألا يمكن أن تظن أنك ابتكرت أمراً فتكتشف أنّه كان موجوداً منذ مئات السنين؟ كيف تجدد لحناً من دون معرفة النسخة الأصلية منه؟ اليوم أكثر من نصف اللبنانيين يعلّمون أطفالهم أغاني فرنسية أو إنكليزية ولا يأتون على ذكر أي أغنية تراثية، فكيف سيستمر التراث وكيف سيعيش؟

■ **بماذا تجيبين مَن يسأل: ماذا يفيدني أن أعلّم ابني التراث؟**

- حين يولَد ابنَك تقول له: هذا بيتي الذي ورثته عن أبي والذي ورثه بدوره عن أبيه والذي سأورثك إياه، فيتعرّف إلى تاريخ بيته ويحبّه. وكما نعلّم الطفل أن يحب بيته وأرضه كي يتعلّق بهما، وكما نعلّمه أن يحب وطنه، يجب أيضاً أن نعلّمه تراثه كي يحافظ عليه وعلى هويته. الألحان التراثية ظهرت بالفطرة لتعبّر عن حالةٍ معيّنة كالفرح أو الحزن أو الحماسة... إذاً تلك الألحان تعكس داخلنا وليست مفبركة تموت بعد أيام ولا تعود تعني شيئاً لأحد.

■ **ولماذا إذاً نلاحظ أحياناً أن البعض من جيل اليوم لا يحب ألحان التراث؟**

- لأنّهم لم يعرفوه. لا يمكنك أن تعرض على أحدهم صنفاً واحداً وتطلب منه أن يختار! السوق اليوم حافلة بالطقاطيق لأنّ الطقطوقة هي النوع الغنائي الأسرع في الوصول، والجميع مستعجلون! تركيبة الطقطوقة التي تقضي بأن تعود إلى المطلع بعد كل مقطع في الأغنية تجعل المتلقي يسمع المطلع ثلاث مرات على الأقل، فإن سمع الأغنية خمس مرات في اليوم سيتردد المطلع على مسامعه 15 مرة، وبالتالي فلا بد من أن يعلق في ذهنه، ولو رغماً عنه. وهنا يجب أن ألفت إلى أني لست ضد هذا النوع الغنائي بل ضد ألاّ يكون هناك سواه لأننا سنخسر قواعد الغناء العربي.

حبه؟

الإنتظار، فمرّت الدقائق
طيع إلا أن تنصت وتتأمّل

■ هل تعتقدين أننا في خطر؟

- بل نحن في خطر كبير! أحياناً أسمع أطفالاً أو حتّى مراهقين يسألون: مَن هما الأخوين رحباني؟! هذا لا يعني أنّ الجمهور الآتي (أو الحالي) غبيٌّ بل يتم استغباؤه بإعتبار أنّه لن يحب الألحان الأصيلة أو الكلمات التي تحمل معنى عميقاً، وأنا ضد هذه الفكرة تماماً. لماذا يمتلئ المسرح حين يقدّم زياد الرحباني حفلةً؟ "الجمهور مش عايز كده" بل السوق هي التي تتحكم في ذوقه، وكم أتمنّى أن تُترَك للناس مهمة الإختيار، والتوقّف عن الإختيار بدلاً منه.

■ أنتِ اليوم تتوجهين إلى فئة معينة من الناس، فهل من معادلة تجعلك تتوجهين إلى كل الفئات وتبقين راضية؟

- هذه المعادلة قد أفتّش عنها لو كنت أريد أن أكون فنانة همّها الأول والأخير أن تحيي حفلة كل يوم أو يومين، وهذه ليست حالي. حين بدأت غناء الموشحات عام 2007 لم أكن أعرف أني سأقدّم حفلات في العالم العربي والغربي وصولاً إلى الصين، ولم أكن أدرك عطش الناس إلى سماع هذا النوع من الغناء، وبالتالي لا أعتقد أني مَن عليها أن تغيّر اتجاهها.

■ تقولين إننا نعاني اليوم مشكلة في الألحان، هل فكّرتِ يوماً في دخول مجال التلحين للآخرين؟

- بدأت في السابق تلحين بعض أغانيّ الخاصة لكن من دون أن أعلن هذا الأمر لأني لم أرِد أن أوضَع في خانة التلحين انطلاقاً من فكرة أنّ الفنان يجب أن يكون متخصصاً، ومجال تخصصي هو الغناء العربي. أنا أجيد مثلاً لغات عديدة لكني لا أغنيها لأحافظ على هوية واضحة.

■ غريب ما تقولين، فأنتِ تكتبين ولا تعلنين الأمر، وتلحنين ولا تذكرين ذلك، فماذا عن فكرة الفنان الشامل؟

- لا أعتبر أني إذا كتبتُ أو لحّنت سأصبح كاتبة وملحّنة بالضرورة. أنا أتردد عند الخروج من الإطار الذي رسمته لنفسي، فمثلاً السيدة ماجدة الرومي سمعتني مرّة أدندن لحناً فأعجبها وأعطتني كلمات أغنية لألحّنها لها فشعرت بالغرابة.

■ ألم تلحّني تلك الكلمات؟

- (تضحك وتتهرّب من الإجابة... بعد الإصرار تفصح) في الحقيقة لحّنتها لكني لم أقل ذلك للسيدة ماجدة وهي لم تسأل، ولا أزال أحتفظ باللحن وبالكلمات.

■ إذاً يجب أن نطلب من السيدة ماجدة أن تأخذ اللحن علّك تدخلين رسمياً مجال التلحين.

- حتّى لو قررت التلحين للآخرين قد لا أجد الوقت الكافي.

■ أعتقد إنّها ذريعة للتهرّب، لذلك سأنتقل إلى السؤال الأخير: ما أهمية الموسيقى الدينية بالنسبة إليك؟

- أعتبر أنّها أساس الفن الغنائي. لقد درست اللغة السريانية ودرست التجويد القرآني، واستنتجت أنّ المغنّي لا يستطيع الوصول إلى مستوى متقدّم في تقنيات الصوت إلاّ إذا مرّ بالألحان الدينية، مسيحية أو إسلامية، وأعطيك مثالين واضحين: فيروز متخرجة في المدرسة السريانية، وأم كلثوم متخرجة في المدرسة القرآنية.